تلك كانت تساؤلات الوضع القائم على الجبهة المصرية التي استوعبتها العقلية الصهيونية وركنت إليها واطمأنت لها ولم تكن تعكس في المقام الأول إلا الصلف والغرور والاستخفاف بالقيادة المصرية الواعية والمقاتل المصري الشجاع ..

المقاتل المصري وأولويات المستحيل :

لقد أجمع الخبراء والقاة العسكريين الأجانب الذين زاروا الجبهة المصرية طوال فترات وقف إطلاق النار وشاهدوا على الطبيعة الدفاعات البرية الإسرائيلية أن العبور شبه مستحيل وأن الموانع الموجودة أمام القوات المصرية موانع شيطانية لا قبل لقوة نظامية مهما بلغت كفاءتها واستعداداتها بعبورها واحتواء نطاقاتها المتعددة ، ولم يستمع القادة المصريون إلى نصائح مثل هؤلاء الخبراء وأحايثهم وبدأوا يعدُّون أنفسهم لقهر هذا المانع الصعب فلا مستحيل أمام الجندي المصري خير أجناد الأرض ..

لقد كان خط بارليف يشكِّل مانعًا غير عاديًّا يحتاج لمعجزة عسكرية لاقتحامه لكن الجندي المصري كان له رأيٌّ آخر فقد استطاع تغيير هذه الصورة في صت ساعات وكان ذلك محصلة مشوار طويل من الخبرة والتجربة والفن العسكري وقدر هائل من الشجاعة النادرة ، لقد تحطَّمت الاستراتيجية الإسرائيلية التي تعوِّل على نظرية الدفاعات الآمنة بالتحصينات والموانع ،

أمام الاستراتيجية المصرية في القتال ، والتي تعتمد فيها القيادة المصرية على الطاقة البشرية كقوة رئيسة لمصر حيث قررت أن تقوّي هذه الطاقة العظيمة وكتَّلت جهودها وأعطت اهتمامها لبناء جيش النصف مليون والذي نُمّيَ فأصبح جيش المليون .. وقد كان هذا هو المدخل المنطقي والطبيعي لإقامة الدفاعات المصرية ، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة الانطلاق بكافة الإمكانيات في الجو والبحر والبر ، وكان تركيز العدو الإسرائيلي على حشد كميات رهيبة من النيران وحواجز اللهب والموانع الطبيعية لتعليق أي عبور مصري محتمل إلى أن تتاح الفرصة لدخول الطيران الإسرائيلي إلى أرض المعركة .. لكن كيف انهار هذا الخط رغم تحصيناته الرهيبة ؟! بل كيف تحوَّل إلى صورة عشرات المقابر الواسعة لجنود جيش الدفاع الإسرائيلي الذين لم يسعفهم الوقت ليرفعوا الرايات البيضاء طالبين الاستسلام ؟

ليس من شك أن أهم تلك العوامل التي أسهمت في إسقاط هذا السد المنيع يكمن في نوعية المقاتل المصري وشجاعته وإيمانه بالله ، إلى جانب التجربة والخبرة التي اكتسبها المقاتل المصري طوال حرب الاستنزاف ، والتدريبات الشاقة التي تلقَّاها المقاتل المصري منذ توقفت حرب الاستنزاف وإلى أن انطلقت شرارة حرب السادي من أكتوبر ، ويقول الصحفي الفرنسي "إيف كو" على صفحات جريدة "الفيجارو" واسعة الانتشار : " إن قوات الرئيس أنور السادات نفَّذت الخطة بمنتهى الدقة ، واستطاعت أن تشق لها طريقًا آمنا وسط حقول الألغام التي زرعها الإسرائيليون في كل شبر من

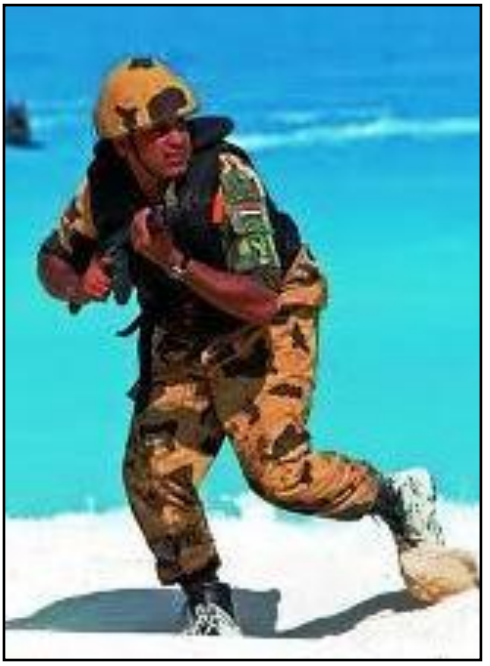

الضفة الشرقية للقناة حول وعلى امتداد خط بارليف ، كما استطاعت أن تدمّرِ في طريقها كل أسلحة القوات الإسرائيلية التي حاولت أن توقف تقدمها " .

لقد ظهرت روح التحدي لدى القيادة المصرية وجنوها ، وأعدوا أنفسهم لقهر هذا المانع الصعب ، وكانت هناك مجموعة من الأولويات أمام القوات المصرية هي :

1. يجب وقف ضخ "النابلم" والمواد الملتهبة من مستودعاتها إلى سطح القناة وذلك قبل البدء في عملية العبور ون أن يلاحظ العدو ذلك .

2. إحداث عدة ثغرات في السد الترابي الذي لا يؤثر فيه أي أسلحة ويجب أن تكون هذه الثغرات بالحجم الكافي لمرور المرعات والمركبات المختلفة وأسلحتنا الثقيلة وذلك في أقصر وقتٍ ممكن .

3. إزالة نطاقات وحقول الألغام والأسلاك الشائكة (73 نطاقًا) حول نقط خط بارليف وذلك في أقصر وقتٍ ممكن .

4. اقتحام موانع خط بارليف والتوغل داخلها بسرعة قبل أن تبدأ مدفعية الميدان الإسرائيلية (المتمركزة خلفًا عن منطقتي الاحتياطي القريب والبعيد) في فتح نيرانها على جنودنا خاصة وأنها ترصد هذه النقط بدقة متناهية مما يجعل نسبة الإصابة 100 % وفي هذه الفترة يكون جنودهم قابعين في أمان داخل مواقعهم المحصنة وق أغلقوا أبوابها الفولاذية .

5. يجب تعطيل الاحتياطيات الخلفية (القريبة والبعيدة والاحتياطي الاستراتيجي فيما وراء المضايق) إلى حافة القناة في الوقت الذي تكون فيه قواتنا ما زالت في فترة العبور الحرجة .

6. يجب أن يصمد رجال المشاة المصريون وجهًا لوجه أمام مدرعات العدو إلى أن تلحق بهم مدرعاتنا .

7. يجب بناء الجسور عبر قناة السويس في خمس ساعات على الأكثر حتى تتحرك معداتنا ووحداتنا الثقيلة عبر قناة السويس ، ويجب الحفاظ على هذه الجسور سليمة وصالحة للاستعمال بالرغم من أي

نشاط جوي يقوم به العدو ، وحتى لا تنعزل قوات المشاة عن مدرعاتنا وأسلحتنا الثقيلة وخطوط إمدادها من الغرب .

8. يجب استمرار تدفق قواتنا من جميع الجهات والأماكن لتشتيت المجهود الرئيس للعدو وبناء عة رؤوس شواطئ لتأمين قواتنا على الضفة الشرقية للقناة .

9. يجب الحد من فاعلية السلاح الجوي الإسرائيلي الذي سينشط ويهب مسعورًا لمهاجمة قوات العبور المصرية التي تقف في العراء في صحراء سيناء .

وقبل كل شيء كيف يمكن إجراء كل هذه الاستعدادات وقواتنا البرية على الضفة الغربية من القناة تقف وجهًا لوجه على مرمى البصر للقوات الإسرائيلية وتحت الملاحظة المباشرة لأبراج المراقبة العالية ونقاط الملاحظة العديدة التي أقامها العدو على الضفة الشرقية من القناة يراقب منها النشاط اليومي لقواتنا ليل نهار ؟!

وقد بلغ الغرور والغطرسة بالقيادة الإسرائيلية مبلغًا كبيرًا لدرجة أن "موشى ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي قال : " من السهل أن تعرفوا متى ترفع القوات المصرية درجة استعدادها وذلك حتى حين يلبس جنودهم الخوذات .. " .

فكيف استطاعت مصر أن تحقق عنصر المفاجأة .. لقد بدأ التخطيط لتحقيق ذلك على مستوى القيادة العليا وتدرَّج إلى مستوى القاعدة ..

ففي يوم 27 أغسطس عام 1973م ألقى الفريق أول / أحمد إسماعيل وزير الحربية المصري والقائد العام للقوات المسلحة كلمة بمناسبة تخريج دفعة جديدة من كلية ضباط الاحتياط وكانت كلماته تفيض بالثقة والحسم إذ قال : " إن لن يستطيع مهما بالغ في الحرب النفسية علينا أن ينال من قدرتنا على التصدي له في معركة شرسة وطويلة نكيل له الصاع صاعين .. الجريح منا بجريحين منه ، والشهيد منا بقتيلين منه " .

وقد صرَّح وزير الحربية المصرية بذلك فيما بعد خلال حديثه مع الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير جريدة الأهرام عندئذٍ أن قرار الحرب كان قد اتخذ فيما بينه وبين الرئيس السادات قبله بشهر ، وكانا معًا يقومان بالعد التنازلي (ي ـ 30) ثم (ي ـ 29) ثم (ي ـ 28) .. حتى وصلا إلى (ي) فقط الذي وافق يوم 6 أكتوبر 73 ، وتم التدرج في وصول الخبر من الضباط الكبار إلى قادة الفرق والألوية والكتائب إلى أن وصل إلى الجند في الموعد المحدد .

عناصر المفاجأة :

واتبعت القيادة المصرية بنودًا خداعية كثيرة بلغت نحو 65 بندًا خداعيًا في مرحلة ما تسمَّى "بضباب ما قبل المعركة" فقد ظل رجال موجة العبور قابعين داخل خنادقهم بكامل أسلحتهم ومعداتهم لمدة زادت على 12 ساعة كاملة دون أن يرفع أحدهم رأسه ويراه العدو بكامل معداته وملابسه الميدانية ، وظلت باقي القوات حتى آخر لحظة لا تبدي استعدادًا أو توترًا ، بل كانت هناك جماعات منهم قد خُصصت للاستحمام في مياه القناة وغسل الملابس